المسار

في تربية الصغار

تأليف الدكتور

عبدالعزيز بن سعد الدغيثر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد :

فإن من أعظم النعم أن يرزق الإنسان ذرية تسعده وتبره في حياته وتحمل اسمه من بعده بعد مماته، وفي هذه العصور يشتكي كثيرمن الناس من وجود عناصر خارجية مؤثرة في تربية الصغاركالإعلام والمدارس وغيرها. وفي هذه البحث محاولة لمعرفة بعض الطرق التربوية المستخرجة من التراث الإسلامي المليء بالكنوز لمن أراد نبشها وإظهارها والله المستعان .

ومما يقوي الحاجة لمثل هذه الأبحاث: ما يعانيه المربون من صعوبات تربية الصغارفي هذا الزمن المليء بالمغريات والفتن، من وسائل إعلام

هادمة، وصحبة مفسدة، ووسائل اتصالات تقرب الشر لمن يريده، وتسهل الانحراف لمن ينشده. فكثرت الشكوى من أهل الخير والصلاح من عدم قدرتهم على تقويم الأبناء، وتربيتهم على الوجهة الإسلامية.

ولا يلام الأب على حرصه على ولده، فإن الولد الصالح ينفع أباه في أمور المعيشة وشؤون الحياة، وينفعه في الآخرة بالدعاء الصالح كما في قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً }الإسراء٢٤ ، كما أن أثر تربية الأبناء على الخير يجري على الوالدين الأجر إلى يوم القيامة كما في قول رسول الله ﷺ:" إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"[1].

وليكن في علم القارئ أن المربي يفعل الأسباب ويعتمد متوكلا على مسبب الأسباب، مفوضا أمره إليه، وملتجأ بين يديه، وإلا فكم من المصلحين من رغب في صلاح ابنه فلم يحصل على مراده لحكمة قدرها الحكيم الخبير، ولنا في نبي الله نوح عليه السلام أسوة حسنة، فنجده وهو من هو في عظم المكانة عند الله يخاطب ابنه في موقف عصيب، ولا يحصل على إجابة، فقد قال تعالى { وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ

---

١ رواه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وَنَـادَى نُـوحٌ ابْنَـهُ وَكَـانَ فِي مَعْـزِلٍ يَـا بُنَيَّ ارْكَـب مَّعَنَـا وَلاَ تَكُـن مَّـعَ الْكَافِرِينَ{٤٢} قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ{٤٣} وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ{٤٤} وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ{٤٥} قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ{٤٦} قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ{٤٧} (سورة هود).

وفي آية سورة الأحقاف، نجد تصوير معاناة الوالدين مع الابن غير الصالح، وكيف أنهم يمحضونه النصح ، فيقابل النصيحة بالإعراض، والحجة بالتكذيب، قال تعالى: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ }الأحقاف١٧.

أسأل الله تعالى أن يتقبل منا ويصلح لنا في ذرياتنا، ويستجيب دعاءنا بما دعا به الصالحون قبلنا:

• {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ }آل عمران٨.

• { رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً }الفرقان٧٤.

• { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَنِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}الأحقاف١٥.

فمن دعا لذريته، وسعى في صلاحهم بما شرع الله من التربية الصالحة، فمن الله عليه بصلاحهم، فليبشر بما قال الله تعالى في مثله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ }الطور٢١.

وآمل أن تكون هذه الرسالة، مشاركة في لبنة الإصلاح، وإعانة للأولياء على مهمتهم الجليلة في إصلاح أبنائهم وتنشئتهم على الخير، وإضاءات لبعض الطرق التربوية المستخرجة من التراث الإسلامي المليء بالكنوز والله المستعان وعليه التكلان.

وبعض فقرات هذا الكتاب مقالات في صحيفة الشرق السعودية، وحلقات في إذاعة الرياض، وقد بدأت كتابتها سنة ١٤٢١هـ عندما تأهلت، ثم رزقت بابنتي البكر أسأل الله لها التوفيق والستر.

كما أسأله سبحانه أن يكون في هذا الكتاب المختصر ما يثري المكتبة التربوية.

الدكتور عبدالعزيز بن سعد الدغيثر

asd9406@gmail.com

المسار (١) : القدوة وأثرها في الصغار

تجلت مظاهر القدوة في نبينا محمد ﷺ، فقد كان الصحابة يرون فيه تطبيق ما يأمر به أتم التطبيق، ومع ذلك فنحن مأمورون بالتأسي به، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً }الأحزاب: ٢١. ولذا نجد التأثر في صحابة رسول الله ﷺ صغارا وكبارا عند سماع آيات القرآن أو تلاوته، ومن ذلك قصة غلام من الصحابة يرويها الحاكم تجلت مظاهر القدوة في نبينا محمد ﷺ، فقد كان الصحابة يرون فيه تطبيق ما يأمر به أتم التطبيق، ومع ذلك فنحن مأمورون بالتأسي به، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً }الأحزاب: ٢١. ولذا نجد التأثر في صحابة رسول الله ﷺ صغارا وكبارا عند سماع آيات القرآن أو تلاوته، ومن ذلك قصة غلام من الصحابة يرويها الحاكم عن عكرمة عن بن عباس ﷺ قال لما أنزل الله عزوجل على نبيه ﷺ " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا " تلاها رسول الله ﷺ على أصحابه ذات ليلة أو قال يوم فخرفتى مغشيا عليه فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو يتحرك فقال يا فتى قل لا إله إلا الله فقالها فبشره بالجنة فقال أصحابه يا رسول الله أمن بيننا

فقال رسول الله ﷺ أما سمعتم قول الله عزوجل:" ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد "[١].

فقد استحضر هذا الغلام عذاب النار التي لا توقد بالخشب كنار الدنيا، بل تزداد لهبا بالحجر وكفرة البشر، وذلك نتيجة لما يرونه من قدوته ﷺ من خشية وتدبر في قراءته للقرآن واستحضار لمشاهد القيامة أثناء ورودها في التلاوة.

وقد تكرر مثل حال ذلك الغلام في قصة رواها الحاكم عن أبي حازم أظنه عن سهل بن سعد أن فتى من الأنصار دخلته خشية من النار فكان يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت فذكر ذلك للنبي ﷺ فجاءه في البيت فلما دخل عليه اعتنقه الفتى وخر ميتا فقال النبي ﷺ جهزوا صاحبكم فإن الفرق فلذ كبده [٢].

---

١ رواه الحاكم ٣٥١/٢.

٢ رواه الحاكم في مستدركه ٥٣٦/٢ برقم (٣٨٢٨) من طريق ا بن أبي الدنيا حدثني محمد بن إسحاق بن حمزة البخاري حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن المبارك أنا محمد بن مطرف عن أبي حازم أظنه عن سهل بن سعد وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه الحاكم والبيهقي من طريقه وغيره وقال الحاكم صحيح الإسناد ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين والأصبهاني من حديث حذيفة.أهـ. ورواه ابن المبارك في الزهد برقم ١٩٣٤، و تعقبه الذهبي في " تلخيصه " بقوله : هذا البخاري و أبوه لا يدرى من هما ، و الخبر شبه موضوع . و أقره الحافظ في ترجمة إسحاق بن حمزة من " اللسان " إلا فيما قال في إسحاق ، فتعقبه بقوله : بل إسحاق ذكره ابن حبان في "الثقات " ... و ذكره

وذكر ابن الجوزي عن نفسه أنه كان يتأثر ببكاء بعض شيوخه أكثر من تأثره بعلمهم[١]. وكان عبدالله التستري يردد في طفولته قبل أن ينام: الله شاهدي الله ناظري الله معي[٢]، ولا شك أنه لشيء رآه من والديه أو أحدهما في هذا الأمر.

وقال عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك فإن عيونهم معقودة بك، فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت، وعلمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روِّهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم..."[٣].

ويحذر ابن مسكويه من ترك التربية للخدم خوفا عليهم من أن يتأثروا بأخلاقهم وأفعالهم[٤].

الخليل في "الإرشاد"، و قال: رضيه محمد بن إسماعيل البخاري و أثنى عليه، لكنه لم يخرجه في تصانيفه. وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم ٣٦٥.

١ صيد الخاطر/١٤٠.

٢ مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد/٤٧٠.

٣ البيان والتبيين /٢٤٩.

٤ تهذيب الأخلاق /٦٣، عن كتاب حماية الطفولة في الشريعة لمحمد عبدالجواد /٦٠.

المسار (٢) : تحبيب الصلاة للصغار

من أعظم الأمور أهمية تربية الصغير على عبادة الله تعالى على سنة النبي ﷺ، لأنها أساس الوجود وسببه، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }الذاريات٥٦، وقال سبحانه: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ }الملك٢. وقد ورد فضل من يعلم ولده عبادة الله تعالى، ووجدنا سلف الأمة يبذلون جهدهم في تنشئة أولادهم في عبادة الله تعالى بأداء الصلاة التي تتكرر في اليوم خمس مرات، والصوم لتكرره كل سنة.

الصلاة عماد الدين، ولا حظ في الإسلام لمن تركها، وهي العهد الذي بين المسلمين والكفار فمن تركها فقد كفر كما صحت الأخبار عن النبي المختار ﷺ[(١)].

وقد أمر الله تعالى بأن يبعد الإنسان نفسه وأهله عن النار في قوله سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ...}التحريم: ٦، ومعنى الآية كما قال علي ﷺ : " علموهم

---

(١)كحديث جابر – ﷺ – قال سمعت النبي ﷺ يقول إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة "أخرجه مسلم في صحيحه (٨٢)، وحديث بريدة قال: قال رسول الله ﷺ إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر" رواه النسائي في الكبرى (٣٢٠) وابن ماجه (١٠٧٩) والترمذي (٢٦٢١) وأحمد (٢٢٩٨٧)بسند صحيح.

وأدبوهم [١]، وعن الحسن البصري رحمه الله مثله [١]. وأهم شيء يقرب من الجنة ويبعد عن النار الصلاة.

ولما لها من أهمية فقد حرص الأنبياء على أمر أهليهم بها، قال تعالى مادحا نبيه إسماعيل عليه السلام : {وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً }مريم:٥٥ ، فنجد في الآية أن أمر الأهل بالصلاة والزكاة من أعظم مناقب نبي الله إسماعيل عليه السلام مما يدل على عظيم أجر المربين.

بل جاء الأمر صريحا بأن يأمر المكلف أهله بالصلاة، ويصبر على ذلك ، قال تعالى : {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى }طه: ١٣٢ ، وهذا أمر يدل على وجوب إلزام الأهل بالصلاة.

وأخذ الأب لابنه للمسجد ليصلي مع المسلمين له فوائد في ترسيخ هذه العبادة في قلبه وتحبيبه لها، إضافة إلى ما يصحب ذلك من فوائد نفسية واجتماعية كإزالة الرهبة والخوف من مقابلة الناس، والتعرف على الآخرين، وهذه بعض فوائد صلاة الجماعة، ولذا أوجبها الشرع إلا في أحوال مخصوصة، جاء في حديث ابن عباس ﷺ قال : قال رسول

---

١ رواه ابن جرير في تفسيره ١٧٥/٢٨.

الله ﷺ : (من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر) [٢]، زاد الحاكم: قيل يا ابن عباس : ما العذر؟ قال : خوف أو مطر[٣]. وقال علي ﷺ : لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد)[٤] ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق [٥].

والصلاة نور[٦] كما صح الحديث عن النبي ﷺ، ومن أنوارها أنها طريق إلى الجنة وفي قصة عجيبة لشاب من شباب الصحابة اسمه ربيعة بن كعب ﷺ أنه أحضر ذات مرة لرسول الله ﷺ وضوءه وحاجته فأراد رسول الله ﷺ أن يكافئه فقال له : سلني ، فقال ربيعة : أسألك مرافقتك في الجنة ، قال : أو غير ذلك ؟ قال ربيعة : هو ذاك ، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود) [٧]، ولا غرو في ذلك ؛ فإن الصلاة

١كتاب العيال لابن أبي الدنيا ٤٩٥/١-٤٩٦ .

(٢)رواه ابن ماجه (٧٩٣) والدارقطني ٤٢٠/١وابن حبان(٢٠٦٤) والحاكم في المستدرك (٨٩٤)والبيهقي في السنن الكبرى ٥٣٧٤ وقال: وقال البيهقي الموقوف أصح. ورواه والطبراني في المعجم الكبير(١٢٢٦٥) وقال ابن حجر في تلخيص الحبير٣٠/٢: إسناده صحيح.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه (٨٩٦).

(٤) رواه البيهقي في الكبرى (٤٧٢١) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٦٩) وعبدالرزاق في المصنف (١٩١٥) وضعفه ابن حجر في التلخيص ٣١/١.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٦٥٤).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ.

(٧)رواه مسلم في صحيحه (٤٨٩).

أفضل الأعمال وأحبها إلى الله كما في حديث ابن مسعود ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة على وقتها ...)[١].

والصلاة مفتاح لكل خير، فإن من أعظم أنوارها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال تعالى : {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ...}العنكبوت: ٤٥. وقد جاء في الحديث أن رجلا قال لرسول الله ﷺ : إنَّ فلانا يصلي الليل كله فإذا أصبح سرق فقال : سينهاه ما تقول أو قال : ستمنعه صلاته)[٢]، وذلك لأن فيها صلاح القلب الذي به صلاح الأعضاء . ويعقب ابن حبان على الحديث بقوله: قوله سينهاه ما تقول مما نقول في كتبنا إن العرب تضيف الفعل إلى الفعل نفسه كما تضيف إلى الفاعل أراد أن الصلاة إذا كانت على الحقيقة في الابتداء والانتهاء يكون المصلي مجانبا للمحظورات معها كقوله عزوجل :" إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"(العنكبوت:٤٥)[٣].

ومن أعظم أساليب تعليم الصلاة للصغار، أداء النافلة في البيت، لقول رسول الله ﷺ : ...فصلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل صلاة

---

(١) رواه البخاري (٥٠٤) ومسلم (٨٥).

(٢)رواه أحمد (٩٧٧٧) وابن حبان (٢٥٦٠) عن أبي هريرة ﷺ بسند صحيح

(٣) الإحسان ٣٠٠/٦ بعد حديث (٢٥٦٠).

المرء في بيته إلا المكتوبة)[١]، بل جاء إنها تعدل فضل الفريضة على النافلة كما في حديث صهيب بن النعمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (فضل صلاة الرجل في بيته على صلاته حيث يراه الناس كفضل المكتوبة على النافلة) [٢]. وفي تطبيق هذه الأحاديث حصول الثواب بعمل السنة، وطرد الشياطين من البيوت، وتعليم أهل البيت الهيئة المثالية في الصلاة من حيث السنن الفعلية وعدم العبث وخشوع الجوارح، فإن الخاشع يبين خشوعه في جوارحه وسكونه، وتأمل في موقف رسول الله ﷺ من رجل صلى بلا خشوع فإنه التفت إليه وقال : يا فلان ألا تحسن صلاتك ؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي فإنما يصلي لنفسه)[١].

وقد أدرك ابن مسعود ﷺ أن الصلاة مفتاح الخير للصغير، فإذا حافظ عليها فقد أفلح وما كان فيه من تقصير فإن بركة الصلاة تصلح التقصير

---

(١)رواه البخاري (٦٩٨)

(٢)رواه الطبراني في الكبير (٧٣٢٢) ورواه البيهقي عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٦٣٩) عن رواية البيهقي :إسناده جيد إن شاء الله تعالى. وقال المناوي في فيض القدير ٤/٤٣٦: رمز المصنف لحسنه قال الذهبي في الصحابة له حديث رواه عنه هلال بن يساف في الطبراني تفرد به قيس بن الربيع اهـ وقال الهيثمي: فيه محمد بن مصعب الرفسائي-كذا والذي في المعجم الكبير: القرقسائي- ضعفه ابن معين وغيره ووثقه أحمد. الحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع.

في غيرها، فقد قال ابن مسعود ﷺ : " حافظوا على أبنائكم في الصلاة ثم تعودوا الخير فإن الخير بالعادة "[٢] .

وأما وقت أمر الصغار بالصلاة فمحدد في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ :"مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع "[٣]. والمقصود هو أن سن السابعة يبدأ الصغير في إدراك الأمور، وهي مرحلة التأديب، فإن عقل قبل ذلك لقوة عقله فإنه يحدث عن الصلاة ولا مانع من أمره بها، فقد كان عروة - ابن الزبير رحمه الله- يأمر بنيه بالصيام إذا أطاقوه وبالصلاة إذا عقلوا "[٤] .

---

١ رواه مسلم في صحيحه (٤٢٣) عن أبي هريرة ﷺ.

٢ رواه ابن أبي الدنيا في العيال ١/ ٤٦٩ والبيهقي في الكبرى ٨٤/٣ وعبدالرزاق في المصنف (٧٢٩٩) وابن أبي شيبة ٣٤٨/١..

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤٩٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٠٥٠، ٤٨٧١)، وله شاهد عن عن عبد الملك بن الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه عن جده بنحوه بدون وفرقوا بينهم في المضاجع . رواه أحمد في مسنده (٣٢١٠) وأبو داود في سننه (٤٩٤) والترمذي في جامعه (٤٠٧) وقال الترمذي حسن ، ورواه الحاكم في مستدركه (٩٤٨) ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٤٨٧٠) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ورواه ابن خزيمة في صحيحه (١٠٠٢) والدارقطني في مصنفه ٢٣٠/١.

٤ رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٤٧٠/١ وعبدالرزاق (٧٢٩٣) .

ولا مانع من إعطائهم الهدايا التشجيعية على أداء الصلاة فقد روت عائشة ﵂ أنهم كانوا يأخذون الصبيان من الكُتَّاب ليقوموا بهم في رمضان ويرغبونهم في ذلك عن طريق الأطعمة الشهية[١]. وكان بعض السلف يعطون الصغار الهدايا التشجيعية على أداء الصلاة[٢]. ومن ذلك ما كان من زبيد بن الحارث رحمه الله وكان مؤذن مسجد، فكان يقول للصبيان: يا صبيان تعالوا فصلوا أهب لكم الجوز، قال: فكانوا يجيؤون فيصلون، ثم يحوطون حوله، فقال بعضهم: ما تصنع بهذا؟ فقال: وما علي أن أشتري لهم جوزا بخمسة دراهم ويتعودون الصلاة[٣]. وهذا سبق منهم رحمه الله في أساليب التربية المؤثرة، والمسمى بأسلوب التحفيز والتشجيع بالمكأفأة.

---

١ رواه البيهقي في الكبرى ٤٥٩/٢.

٢ الطب الروحاني لابن الجوزي /٦٠، عن كتاب مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد /١٢٤.

٣ سير أعلام النبلاء ٢٩٧/٥.

المسار (٣) : تعويد الصغار على الصوم

كان من هدي الصحابة أن يعودوا الصغار على الصيام، فقد روى البخاري ومسلم عن الربيع بنت معوذ ﷺ قالت : " أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه ومن أصبح صائما فليصم ، قالت : فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن ، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار"[١] . ولك أن تنقل خيالك إلى ذلك الجيل الكريم، الذين جعلوا هم الآخرة نصب أعينهم، فيغالب أحدهم الرحمة البشرية في قلبه عند سماع بكاء الصغير الذي لم يجر عليه قلم التكليف، وذلك لمصلحة أن يسهل عليه الصيام حال الكبر. ويلهون الصغير بالألعاب من الدمى القطنية المتوفرة لديهم في ذلك الحين.

وقد أصبح تعويد الصغار على الصيام، معروفا ومشهورا في عهد الصحابة والتابعين، ولذا لما جيء بسكران في رمضان إلى عمر بن الخطاب ﷺ قال له موبخا وزاجرا :" في رمضان ويلك وصبياننا صيام " فضربه[٢] .

---

١ رواه البخاري رقم(١٩٦٠) ومسلم (١١٣٦).

٢رواه البخاري(١٦٩٠) تعليقا وصله سعيد بن منصور كما في فتح الباري ٤/٢٠١..

وصدق المعري في قوله:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

وما دان الفتى بحجى ولكن يعوده التدين أقربوه[١]

١ اللزوميات ٢/٤٢١.

المسار (٤) : تقويم سلوك الصغار

لقد جاءت النصوص الشرعية بالأمر بالإنكار على الصغار إن ارتكبوا محرما فعن عمر بن أبي سلمة قال: كنت في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي:" يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك"[١].

وقال سنان بن سلمة: كنت في غلمة بالمدينة نلتقط البلح فأبصرنا عمر وسعى الغلمان وقمت، فقلت: يا أمير المؤمنين إنما هو ما ألقت الريح! قال: أرني أنظر. فلما أريته قال: انطلق. قال: قلت: يا أمير المؤمنين ولِّ هؤلاء الغلمان ، إنك لو تواريت انتزعوا ما معي. قال: فمشى معي حتى بلغت مأمني[٢]. وهذا موقف يبين ما في قلب عمر ﷺ من الرحمة والشفقة على الصغار والكبار.

ودخل أبو هريرة ﷺ مرة المسجد يوم الجمعة فوجد غلاما فقال له : يا غلام اذهب العب. قال : إنما جئت إلى المسجد. قال له : يا غلام اذهب العب. قال : إنما جئت إلى المسجد. قال: فتقعد حتى يخرج الإمام؟ قال:

---

١ رواه مسلم ١٥٩٩/٣ (٢٠٢٢).

٢رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٤١٨/١.

نعم[١]. وكأنه خشي أن يلعب في المسجد في أول الأمر فلما تأكد من أنه جاء لقصد العبادة تركه.

وإذا كان الغلام يعقل بأن كان متقدما في العمر، فإن المربي يستخدم ما يقتضيه المقام من اللين والشدة، فقد روى سعيد بن جبير أنه كان مع عبدالله بن عمر ﷺ في الطريق فإذا صبيان يرمون دجاجة فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ فتفرقوا، فقال: إن رسول الله صلى عليه وسلم لعن من مثل بالحيوان[٢].

وإذا كان المنكر الشرعي بسبب لا دخل للصغير فيه، كما إذا كان لبسا اشتراه له وليه، فإن الصغير يعلَّم إن كان يعقل، وينكر على وليه، فقد قال شيخ الإسلام: " فإن ما حرم الله على الرجل فعله حرم عليه أن يمكن منه الصغير وقد رأى عمر بن الخطاب ﷺ ثوبا من حرير على صبي للزبير فمزقه وقال: لا تلبسوهم الحرير"[٣]. ومزق ابن مسعود ﷺ قميصا من حرير على أحد أولاده وقال: قل لأمك تكسوك غير هذا[٤].

---

١ أخرجه أحمد ٤٨٣/٢.

٢رواه الدارمي ٨٤/٢.

٣مجموع الفتاوى ١٤٣/٢٢.

٤رواه الطبراني وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح ، مجمع الزوائد ١٤٧/٥. وينظر بعض النقول الأخرى في المصنف ٢٣٢/٨-٢٣٣

وقال الموفق ابن قدامة في المغني: ويتجنب الثياب التي عليها تصاوير أو صلبان[١].

كما أن من واجب المربي أن يعلم الصغير الآداب الإسلامية، ومن أهم ما يغفل عنه الناس تعليم الصغير الاستئذان، فقد نزلت آية قرآنية خاصة في استئذان الصغار، وذلك في قوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم..."(النور:٥٨)، يقول أنس ﷺ:" كنت خادما للنبي ﷺ فكنت أدخل بغير استئذان فجئت يوما فقال: كما أنت يا بني فإنه قد حدث بعد أمر، لا تدخلن إلا بإذن"[٢]. وقد ذكر ابن قدامة أن الطفل يؤمر بالاستئذان في سن التمييز[٣].

---

١ المغني ٦٢٨/١.

٢ رواه البخاري في الأدب المفرد ٢٧١/٢.

٣ المغني ٤٩٦/٩.

المسار (٥) : العتاب قبل العقاب

قد يظن البعض أن أسرع طريقة للتقويم الضرب وهو مخالف للهدي النبوي، كما أن الدراسات الحديثة أثبتت أن استخدام الوسائل الأخرى أكثر تقويما للسلوك. ولنتأمل في هذه القصة التي رواها أحمد أن رسول الله ﷺ خرج إلى طعام كان قد دعي إليه مع بعض أصحابه فاستقبل رسول الله ﷺ أمام القوم وحسينٌ مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبي ها هنا مرة وها هنا مرة، فجعل النبي ﷺ يضاحكه حتى أخذه[١]. فهذه وسيلة سهلة توصل إلى المقصود.

ومن الأساليب أيضا العتاب الرقيق فقد قال أنس بن مالك ﷺ : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا ، فأرسلني يوما لحاجة ، فقلت: والله لا أذهب – وفي نفسي أن أذهب لما أمرني نبي الله ﷺ- قال: فخرجت حتى أمر على الصبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قابض بقفاي من ورائي فنظرت إليه وهو يضحك فقال : يا أنيس اذهب حيث أمرتك، قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله[٢].

---

١ رواه أحمد ١٧٢/٤.

٢ رواه أبو داود(٤٤٧٣).

والضرب وسيلة تقويم وقبلها وسائل، وقد ورد الأمر بتعليق العصا في البيت[١]، وهذا فيه تخويف للصغار قبل ارتكابهم لما يخالف الأدب.

فإن حصل من الصغير سلوك سيء، وكان الضرب هو الوسيلة الأنجح، فإنه يكون بضرب خفيف يوصل الرسالة التقويمية للصغير، ولا يؤذي جسده الغض، فعن عائشة ﷺ قالت في أدب اليتيم: إني لأضرب اليتيم حتى ينبسط[٢].أي يعتدل. وقال الإمام أحمد: اليتيم يؤدب ويضرب ضربا خفيفا[٣].

وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يكتب للأمصار: لا يقرن المعلم فوق ثلاث فإنها مخافة للغلام[٤]. – يعني لا يجمع ثلاث ضربات. وسئل الإمام أحمد عن ضرب المعلم الصبيان، فقال: على قدر ذنوبهم، ويتوقى بجهده الضرب، وإن كان صغيرا لا يعقل فلا يضربه[١].

ومن طريف ما ينقل أنه كان لشريح القاضي ابن يدَعُ الكُتَّاب ويذهب يلعب مع الصبيان والكلاب، يهارش بينها، فدعا شريح بدواة وصحيفة فكتب إلى مؤدبه:

١رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٤٩٤/١ وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

٢رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٨٣٢/٢.

٣الآداب الشرعية ٤٧٧/١.

٤ابن أبي الدنيا في العيال ٥٣١/١.

ترك الصلاة لأكلب يسعى لها طلب الهراش مع الغواة الرُّجَّس
فإذا أتاك فعَضَّه بَملاَمَةٍ أو عِظه موعِظةَ الأديب الأكيس
وإذا هممت بضربه فبدرة وإذا ضربت بها ثلاثا فاحبس
واعلم بأنك ما أتيت فنفسه - مع ما يجرعني- أعز الأنفس[٢]

ولا ينسى المربي وهو يقوم سلوك الصغير ويؤدبه أنه في نعمة حرمها الكثيرون، هذه النعمة هي زينة الدنيا كما في قوله تعالى:" المال والبنون زينة الحياة الدنيا"، وتأمل أيها القارئ هذا الموقف من الأحنف حينما غاضب معاوية ﷺ ابنه يزيد فقال له الأحنف بن قيس: هم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول إلى كل جليلة ، فإن غضبوا فأرضهم ، وإن طلبوك فأعطهم يمحضوك ودهم ، ويلطفون جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلا لا تعطيهم إلا نزرا فيملوا حياتك ويكرهوا قربك . فكان ذلك سببا لتراضيهما[٣].

١الآداب الشرعية ٤٧٧/١.
٢ ابن أبي الدنيا في العيال ٣١٧/١.
٣ابن أبي الدنيا في العيال ٣٠٨/١.

المسار (٦) : وقاية الصغار من أذى الشياطين

من المعلوم أن الصغار كثيرا ما يتعرضون لأذى الشياطين لعدم مباشرتهم لما يحصنهم من أذكار مشروعة، ولعدم تعويذهم بما ورد في الهدي النبوي من تعويذات واقية للصغير من الشيطان وأذى الجان، فمما يشرع للصغير أن يعوذ من الشيطان فقد قالت امرأة عمران:" وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم"(آل عمران:٣٦).

وعن ابن عباس ﷺ قال : كان رسول الله عليه وسلم يُعوذ الحسن والحسين وقال : (كان أبوكم إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق : أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامَّة)[١].

وعن ابن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع " بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون " قال : وكان عبدالله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده ومن لم يبلغ أن يقولها كتبه فعلقه عليه[٢]. وعن نافع بن يزيد

---

١ أخرجه البخاري ١٧٩/٤ .

٢ أخرجه أحمد ١٨١/٢ وأبو داود (٣٨٩٣) والترمذي (٣٥٢٨) وقال: هذا حديث حسن غريب، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٦٥) و(٧٦٦) وابن أبي الدنيا في العيال ٨٦١/٢ .

أنه سأل يحي بن سعيد عن الرقى وتعليق الكتب فقال : كان سعيد بن المسيب يأمر بتعليق القرآن ، وقال : لا بأس به [١] . ورخص أبو جعفر الباقر في التمائم من القرآن والسنة [٢] . وقال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في باب ما جاء في الرقى والتمائم من كتاب التوحيد: "التمائم" : شيء يُعلق على الأولاد من العين ، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرَخّص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، ويجعله من المنهيّ عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه . أ هـ.

والمترجح لدى علمائنا كالإمام ابن بازوابن عثيمين وغيرهم رحمهم الله المنع من تعليق التمائم ولو كان فيها قرآن أو تعويذ شرعي، لعموم النهي، ولأن ذلك يوصل إلى تعليق التعويذات غير المشروعة، إضافة إلى ما قد يحصل لها من الامتهان الذي يجب تنزيه ذكر الله عنه.

ويمنع الصبي من الخروج وقت انتشار الشياطين حتى لا يؤذوه فقد روى البخاري أن رسول الله عليه وسلم قال : (اكفتوا صبيانكم عند العشاء فإن للجن انتشارا وخطفة) [٣] . وفي حديث جابر مرفوعا:" إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر

١رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٨٦٢/٢ والبيهقي في الكبرى ٣٥١/٩ .

٢ رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٨٦٣/٢ .

٣رواه البخاري ١٥٧/٤ .

حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوهم..."[١]. وجنح الليل هو إقباله بعد غروب الشمس.

فإذا أصيب الصبي بعين أو مس فالمشروع اتباع الطرق الشرعية للعلاج، فمن ذلك الرقية كما في حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال لأسماء بنت عميس ﷺ:" مالي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة؟ قالت: لا ولكن العين تسرع إليهم. قال:" ارقيهم"[٢]. ورأى صلى الله عليه وسلم في وجه جارية لأم سلمة سفعة فقال:" استرقوا لها فإن بها النظرة"[٣]. وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : إن ابني هذا به لمم منذ سبع سنين يأخذه كل يوم مرتين . فقال رسول الله ﷺ : (أدنيه ، فأدنته منه ، فتفل في فيه وقال : اخرج عدو الله أنا رسول الله)[٤].

وليعلم أن الرقية للصبي ولغيره لا تختص بالأمراض النفسية، بل إذا أصيب الطفل بمرض عضوي أو نفسي فإن في الرقية شفاء، ودليله ما ورد عن أم جميل بنت المجلل – في قصة قدومها من الحبشة - قالت : فقدمت بك المدينة – تعني محمد بن حاطب – فأتيت بك رسول الله صلى

---

١ رواه البخاري (٥٦٢٣) ومسلم(١٨٣/١٣ مع الشرح).

٢ رواه مسلم(٢١٩٨).

٣ رواه البخاري (٥٧٣٩) ومسلم(٢١٩٧) عن أم سلمة ﷺ.

٤ رواه الحاكم ٦١٨/٢ وصححه.

الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله هذا محمد بن حاطب وهو أول من سمي بك ، فمسح على رأسك ودعا لك بالبركة وتفل في فيك وجعل يتفل على يدك ويقول : أذهب الباس ..."[١].

١ أخرجه أحمد ٢٥٩/٤ والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم ١٧٨ ، ١٠٢٤ .

المسار (٧) : الدعاء للصغار

إن مما يحزن القلب؛ ويدمع العين، ما نراه من توجه لبعض الناشئة نحو الغلو والتطرف، مع كونهم في بيئات معتدلة صالحة، ويتساءل الكثير عن أسباب ذلك. والملاحظ أن أكثرنا عند تربيته لأولاده وطلابه يبذل الأسباب ويغفل الدعاء، بل نلحظ عكس من تفشي السلوك الخاطئ بالدعاء على الأولاد، لدرجة تصل لدى قلة من الناس إلى اللعن والدعاء بالغضب والنار، وقد قال ﷺ:" لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار".

إن الدعاء للأولاد من أعظم مظاهر إرادة الخير للمربي، وهو هدي الأنبياء والصالحين. فعباد الرحمن يقولون:" ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين" (الفرقان:٧٤)، وزكريا يقول:" فهب لي من لدنك وليا" (مريم:٥)، وإبراهيم يقول:" رب هب لي من الصالحين"(الصافات:١٠٠) ويدعو لهم بصلاح العقيدة:" واجنبني وبني أن نعبد الأصنام"(إبراهيم:٣٥) ويدعو لهم بأن يكونوا مقيمين للصلاة:" رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي"(إبراهيم:٤٠)، ويدعو أن يصلح ذريته: "رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ

"(الأحقاف: ١٥). ولا يشك مؤمن ما للدعاء من أهمية في صلاح الصغار وهو ما كان يوصي به المصلحون أولياء الصغار فقد شكى أحدهم ابنه إلى طلحة بن مصرف - رحمه الله - فقال: استعن عليه بهذه الآية:" رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي..".

وقد كان الرسول الكريم - ﷺ - يدعو للصغار فقد ورد عن أبي هريرة - ﷺ - قال:" خرج رسول الله ﷺ وخرجت معه حتى أتينا سوق بني قينقاع ثم انصرف فأتى بيت عائشة ثم قال: أثم لُكَعٌ – يعني حسينا ، وظننت أن أمه حبسته تغسله أو تلبسه سخابا (قلائد طيبة الرائحة) ، فلم يلبث أن جاء يشتد فعانق كل واحد منهما صاحبه ثم قال : اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه. رواه البخاري ١٠٤/٧ ومسلم ١٨٨٢/٤. ويستدل بالحديث على استحباب تنظيف الصغير وتطييبه وإلباسه الملابس الجميلة عند الاستطاعة.

وإن لضم الصغير والدعاء له أثر بالغ في نفسه، فقد صح عن ابن عباس - ﷺ - أنه قال:" ضمني رسول الله - ﷺ - وقال:" اللهم علمه الكتاب" وفي رواية:" اللهم علمه الحكمة" وفي أخرى:" اللهم فقهه في الدين" رواه البخاري.

وروى البخاري عن أسامة بن زيد - ﷺ - قال : إن كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليأخذني ويقعدني على فخذه ويقعد الحسن على الأخرى ثم يضمنا ثم يقول : اللهم ارحمهما فإني أرحمهما. وفي رواية : (اللهم إني أحبهما فأحبهما). ولاحظ أن الحسن ابن بنته، وأسامة ابن مولاه زيد بن حارثة، ومع ذلك عدل بينهما ووضعهما على فخذيه - صلى الله عليه وسلم -.

أما الدعاء عليهم فقد ورد النهي عنه في صحيح مسلم حديث جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم". ولو سألت كل والد دعا على ولده هل يرغب في قبول دعائه لأجاب بالنفي، ولكنه يخفف ما في قلبه من غضب على ابنه بالدعاء عليه فصارت وسيلة تنفيس ولا مقصود للداعي فيها، ولكنه لو استجيب لدعائه لحزن وندم. ولذا لما جاء رجل إلى ابن المبارك - رحمه الله - يشكو عقوق ابنه ؛ سأله إن كان قد دعا عليه أم لا ، فأجاب : بأنه قد دعا عليه ، فقال له حينئذ : أنت أفسدته.

فمن دعا لذريته، وسعى في صلاحهم بما شرع الله من التربية الصالحة، فمن الله عليه بصلاحهم، فليبشر بما قال الله تعالى في مثله: "وَالَّذِينَ

آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ " (الطور: ٢١).

المسار (٨) : الاستثمار المعرفي في الصغار

إن من تمام القيام بالأمانة أن يعلَّم الصغير ما ينفعه، فقد روى أيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله - ﷺ - : ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن [(١)] . وتأديب الأولاد هو أعظم استثمار، فالمال يذهب، ويبقى الأدب، ويدخل فيه الاستثمار المعرفي والاستثمار في الأجيال ، وهذه مصطلحات تطلق على تعليم الأبناء والبنات المهارات والمعارف ، والأدب علم ومهارة كما هو معروف.

وقد جاء الأمر النبوي بتعليم الصغار بعض الآيات لأهميتها فقد قال ﷺ : (إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم فإنها صلاة وقرآن ودعاء

---

(١) رواه الحاكم ٢٩٢/٤ رقم ٧٦٧٩ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ورواه أحمد في مسنده ١٥٤٣٩ ورواه الترمذي ١٩٥٢ في سننه وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عامر بن أبي عامر الخزاز وهو عامر بن صالح بن رستم الخزاز وأيوب بن موسى هو بن عمرو بن سعيد بن العاصي وهذا عندي حديث مرسل، أ هـ. وعمر بن سعيد هو المعروف بالأشدق الذي قتله عبدالملك بن مروان ولم يدرك النبي ﷺ فهو تابعي، وعقب الذهبي على كلام الحاكم فقال: بل مرسل ضعيف ففيه عامر بن صالح الخزاز واه إلى هنا كلامه وقال الهيثمي رواه الطبراني عن ابن عمر وفيه عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير وهو متروك اهـ

) [١] . وروى عبدالرزاق عن عبد الكريم أبي أمية قال كان رسول الله - ﷺ - يعلم الغلام من بني هاشم إذا أفصح سبع مرات "الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك " إلى آخر السورة ، وروى عن إبراهيم قال كانوا يستحبون أول ما يفصح أن يعلموه لا إله إلا الله سبع مرات فيكون ذلك أول ما يتكلم به [٢] .

وروى ابن أبي شيبة عن عمرو بن شعيب قال كان الغلام إذا أفصح من بني عبد المطلب علمه النبي - ﷺ - هذه الآية سبع مرات "الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ". وكان علي بن الحسين يعلمهم : (قل آمنت بالله وكفرت بالطاغوت) ، وعن إبراهيم التيمي قال كانوا يستحبون أن يلقنوا الصلاة ويعرب أول ما يتكلم يقول لا إله إلا الله سبع مرات فيكون ذلك أول شيء يتكلم به [٣] .

---

(١) رواه الحاكم ٧٥٠/١ رقم ٢٠٦٦ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وقد رواه عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح مرسلا .أ هـ، ورواه الدارمي في السنن برقم ٣٣٨٩، وليس في المستدرك المطبوع ولا سنن الدارمي قوله: وأبناءكم، واللفظ المذكور أورده المنذري في الترغيب والترهيب رقم ٢٢٥٤ وفيه: قال الحافظ معاوية بن صالح لم يحتج به البخاري إنما احتج به مسلم ويأتي الكلام عليه ورواه أبو داود في مراسيله عن جبير بن نفير وكذا أورده السيوطي في الجامع الصغير كما في فيض القدير ٢٢٩/٢ ورد الذهبي كون الحديث على شرط البخاري لأن معاوية لم يحتج به البخاري

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف برقم ٧٩٧٦-٧٩٧٧.

(٣) رواها ابن أبي شيبة في المصنف ٣٠٦/١ رقم ٣٤٩٨-٣٥٠٠.

كما كان السلف يخشون على أبنائهم من الوقوع في البدع ، ويلقنونهم حب الصالحين، فقد قال الإمام مالك: كان السلف يعلمون أولادهم حب الشيخين كما يعلمون السورة من القرآن.

كما أن السلف كانوا يقدمون الغالي والنفيس ليرغبوا الصغار في العلم فقد روى النضر بن شميل قال سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: قال لي أبي: يا بني اطلب الحديث فكلما سمعت حديثا وحفظته فلك درهم فطلبت الحديث على هذا.(شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي – تحقيق محمد سعيد خطي اوغلي – ص ٦٠). وقالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، وقالت أيضا: يا بني إذا كتبت عشرة أحاديث فانظر هل ترى من نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك، فإن لم يزدك فاعلم أنه يضرك ولا ينفعك. (سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٧). وهذا يدل على حرصهم على العمل بالعلم ليورث الخشية حتى لا يكون هم الصغير الدنيا والمنافسة بين الأقران.

ومن أعظم ما حرص عليه السلف أن يتشرب الصغار السيرة النبوية لتكون نبراسا لهم ولتزيد محبتهم للنبي ﷺ وصحبه الكرام ، كما أن في معرفتهم للسيرة تكوين للقدوات التي يولع بها كثير من الصغار، فمن ما ورد عن السلف في تحبيب الصغر للسيرة ما قاله علي بن الحسين:" كنا

نعلَّم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن الكريم" وقال إسماعيل بن محمد بن سعد:" كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعدها علينا وسراياه ويقول: يا بني: هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها".

كما أن من واجب المربي أن يعلم الصغير الآداب الإسلامية، ومن أهم ما يغفل عنه الناس تعليم الصغير الاستئذان، فقد نزلت آية قرآنية خاصة في استئذان الصغار، وذلك في قوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم..."(النور:٥٨)، يقول أنس ﷺ:" كنت خادما للنبي ﷺ فكنت أدخل بغير استئذان فجئت يوما فقال: كما أنت يا بني فإنه قد حدث بعد أمر، لا تدخلن إلا بإذن" رواه البخاري في الأدب المفرد ٢٧١/٢. وقد ذكر ابن قدامة - رحمه الله - أن الطفل يؤمر بالاستئذان في سن التمييز. ينظر: المغني ٤٩٦/٩.

وليعلم أن التدرج مطلوب في التعليم، فقد نقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٠٠/١٩ عن سعيد بن جبير- رحمه الله - الحث على التدرج في أخذ الطفل بالجد. وهذا يتمشى مع الحكمة التي جاءت بها

الشريعة، وطبيعة النفس الإنسانية التي تستثقل أخذها بالعزيمة بلا تدرج.

المسار (٩) : تنمية الثروة اللغوية للصغار

لما كان الاختلاط بالأعاجم مظنة لفساد اللسان العربي ، حرص السلف على تقويم ألسنة الصغار من اللحن فقد جاء عن نافع عن ابن عمر ﷺ " أنه كان يضرب بنيه على اللحن "[١] .

ولم يكن السلف غافلين عن العلوم الأخرى المفيدة كالأنساب والشعر فقد أرسل معاوية ﷺ إلى دغفل فسأله عن العربية وعن أنساب العرب وسأله عن النجوم فإذا رجل عالم . قال : " يا دغفل من أين حفظت هذا؟ قال : بلسان سؤول وقلب عقول وإن آفة العلم النسيان . قال : انطلق بين يديَّ – يعني ابنه يزيد – فعلمه العربية وأنساب قريش والنجوم وأنساب الناس "[٢] .

ولما دفع عبدالملك ولده إلى الشعبي يؤدبهم قال : علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا وحسن شعورهم تشتد رقابهم وجالس بهم علية الرجال يناقضوهم الكلام[٣] .

ومن ذلك أن الصبي إذا كان ذا موهبة خطابية فإن الأولى بمعلمه أن ينمي هذه الموهبة، وقد كان ابن الجوزي الواعظ من ثمار الشيخ أبي

١رواه ابن أبي الدنيا في العيال ١/ ٥٠٨ والبيهقي في الكبرى ١٨/٢ .

٢رواه ابن أبي الدنيا في العيال ١/ ٥٢٨ .

٣رواه ابن أبي الدنيا في العيال ١/ ٥١٢ .

القاسم البلخي، فإنه علمه كلمات ثم أصعده المنبر فقالها وكان عمره ثلاث عشرة سنة ، قال ابن الجوزي: وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفا. وهو أول مجالسه رحمه الله[١].

ومن أساليب مداعبة الصغار عند الرعيل الأول ترقيصهم وقول الرجز الخفيف الذي يطرب الطفل حال تلعيبه، فقد ورد عن عقبة بن الحارث قال : رأيت أبا بكر ﷺ يحمل الحسن بن علي ويقول:

بأبي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي

وعلي معه يتبسم[٢]. قال الحافظ في الفتح: وكان عمر الحسن إذ ذاك سبع سنين[٣].

وعن عروة بن الزبير قال : كان أبي ينقزني ويقول:

أبيض من آل عتيق مبارك من ولد الصديق

ألذه كما ألذ ريقي[٤]

وكان العباس ﷺ يرقص قثم ويقول :

يا قثم يا قثم يا ذا الأنف الأشم

---

١ المنتظم ٢٣٦/١٧ ، والبداية والنهاية طبعة دار هجر ٢٧١/١٦.

٢ رواه البخاري ٢٢٧/٤ ،وأحمد ٨/١ وابن أبي الدنيا في العيال ٤٣١/١.

٣الفتح ٤٩/١٤.

٤رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٤٣٣/١.

يا شبه ذي الكرم[١]

وكانت أم الفضل بن عباس ترقصه وتقول:

ثكلت نفسي وثكلت بكري إن لم يسد قهرا أو عين قهري

بالحسب العزوبذل الوفر[٢]

وقال الشعبي : كانت قريش تحب عثمان بن عفان ﷺ حتى إن المرأة كانت ترقص ابنها وتقول:

أحبك والرحمن حب قريش عثمان[٣]

ونجد للصغار نزوعا لسماع ما يطرب ، ولذا رخص لهم الشرع في المناسبات الشرعية كما في حديث الجاريتين أنهما كانتا تغنيان وتضربان بالدف عند عائشة ﷺ في العيد من أيام منى[٤].

١رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٤٣٦/١.

٢ رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٤٣٤/١

٣رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٤٣٥/١

٤رواه مسلم ٦٠٨/٢.

المسار (١٠) :التعليم المهاري

تعاني الأجيال المتأخرة من ضعف المهارات الحياتية وخصوصاً الأعمال اليدوية التي يحتاجها كل شخص في حياته اليومية، مثل الصيانة الخفيفة للسيارة، وأعمل الكهرباء والسباكة المنزلية، وصيانة أجهزة الحاسب ونحوها، وخصوصا مع ارتفاع أجور الأيدي العاملة، ولذا نجد في الكثير من الدول المتقدمة يقدم التعليم موادا خاصة بالمهارات الحياتية، وتقام الدورات التدريبية لأجل ذلك.

ولما كان التعليم المدرسي لا يقدم هذه المهارات بالشكل المطلوب، فإنه حري بالمسؤول عن تربية الطفل أن يقدم له البديل بتعليمه وتدريبه، لأن من أهم واجبات ولي الطفل تعليمه الاعتماد على النفس، وقد روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ مر بغلام يسلخ شاة فقال له تنح حتى أريك فإني لا أراك تحسن تسلخ قال فأدخل رسول الله ﷺ يده بين الجلد واللحم فدحس بها حتى توارت إلى الإبط ثم قال ﷺ هكذا يا غلام فاسلخ. (رواه أبو داود (١٨٥) وابن ماجه برقم ٣١٧٩). والمعنى أنه دفع بقبضه يده بقوة وخفة ليسهل سلخ الشاة.

ومن المهارات التي تدر المال للطفل إذا كبر وتعينه على الاعتماد على نفسه مهارة التسويق بالبيع والتجارة، وقد كان السلف يحثون على

تعليم الصغارهذه المهارة، قال علي بن جعفر: مضى أبي إلى أبي عبدالله- يعني الإمام أحمد- وذهب بي معه فقال له: يا أبا عبدالله، هذا ابني، فدعا لي، وقال لأبي: ألزمه السوق وجنبه أقرانه. (رواه الخلال في الحث على التجارة /٢٩)

ولما توفي والد البراثي وكان صبيا جاء بشربن الحارث فقال له:" يا بني إن أباك كان رجلا صالحا وأرجو أن تكون خلفا منه، بروالدتك ولا تعقَّها ولا تخالفها، يا بني والزم السوق فإنها من العافية، ولا تصحب من لا خيرفيه".

بل إن السلف يرون أن إكساب المهارة للطفل خيرمن بذل المال له مجانا وإحسانا، لأن في أخذه المال دون جهد تربية له على الدعة والكسل والاعتماد على الآخرين، ولذا فقد سئل يونس بن عبيد عن يتيم يرفق به ويُحسن إليه فقال: السوق خيرله، فأعادوا عليه فقال: السوق خيرله. ولذا تُنصَح الجهات الخيرية أن يحرصوا على تدريب الفقيرليحصل على كسب دائم، بدلا من صرف الأموال عليه وتعويده على الأخذ دون إعطاء، مما يجعله عالة على مجتمعه وثروة معطلة.

بل إن الأمروصل إلى أن بعض المحسنين يوقفون أموالا على تدريب الصغارالمهارات ليجدوا مصدركسب دائم لهم، فقد شاهد ابن

بطوطة وقفا لما يكسر من صحون الفخار وغيرها لمتعلمي الحرفة من الأحداث جبرا لخاطر الطفل ودفعا للعقاب عنه ، وتعويضا للصانع عما يكسر له. (من روائع حضارتنا للسباعي ص ١٢٧). ويذكر الأستاذ محمد بن البشير وجود مثل هذا الوقف في المغرب إلى عهد قريب وذلك في كتاب " نحو تطبيق النظام الاقتصادي والاجتماعي الاسلامي ص ٦٩.

ومن أهم ما يحرص عليه المربي أن يستخدم طريقة التربية بالمخالطة بأهل التجارب، فعلى سبيل المثال تعد الجرأة على طرح الأفكار دون خجل أو وجل، أمرا نادرا في الصغار، مع كونها من أهم ما يبني شخصية الصغير، وهذه المهارة إنما تحصل بمجالسة العقلاء الكبار ليكبر عقله وينضج تفكيره، فمن الخطأ الشائع أن يمنع الصغير من حضور مجالس أهل الخبرة والتجربة، وقد مر عمرو بن العاص ﷺ على حلقة من قريش فقال:" ما لكم قد طرحتم هذه الأغيلمة؟ لا تفعلوا ، أوسعوا لهم في المجلس، وأسمعوهم الحديث، وأفهموهم إياه، فإنهم صغار قوم أوشك أن يكونوا كبار قوم، وقد كنتم صغار قوم فأنتم اليوم كبار قوم". بل كان ابن شهاب الزهري رحمه الله يشجع الصغار ويقول :" لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يتبع حدة عقوله ". ولذا نجد أن

المتخصصين في التربية الحديثة يرون ضرورة استشارة الطفل في الأمور التي تخصه كملابسه ولعبه ليشعر بالاهتمام به وتنمو شخصيته وقدراته في الاختيار واتخاذ القرار.

المسار (١١) :التربية العسكرية للصغار

تمر بلادنا في السنين الأخيرة في مرحلة مهمة، حيث تواجه أعداء في الخارج، وأشد منهم أعداء الداخل من الغلاة الذين يندسون بين الآمنين، ومن المقولات الخالدة لباني القوة الأمنية في بلدنا الأمير نايف بن عبدالعزيز- رحمه الله - :" المواطن رجل الأمن الأول"، وقد لاحظنا أن بعض العمليات التخريبية قلت آثارها بشكل ملحوظ بسبب صمود بعض المواطنين للمخربين، وفي هذا تأكيد لأهمية البناء العسكري لشباب الوطن عبر التربية الجادة في المدارس كما هو موجود في الكثير من الدول.

وتبدأ التربية الجادة بتقوية أبدان أبنائنا المترهلة جراء الأكل غير الصحي، واللعب الإلكتروني، مما جمع على صغارنا سوء التغذية وقلة الحركة والخمول الممرض. ومن المسابقات التي تحفز على تقوية البدن رياضة رفع الأثقال، وتتميز بعدم وجود ضرر على الآخرين، وهذه الرياضة من الرياضات الفردية التي لا تخلوا من فائدة، فقد مر ابن عباس ﷺ بعدما ذهب بصره بقوم يجرون حجرا فقال: ما شأنهم؟ قال: يرفعون حجرا، ينظرون أيهم أقوى. فقال ابن عباس: عمال الله أقوى من هؤلاء. رواه عبدالرزاق في المصنف ٤٤٤/١١ (٢٠٩٦٠).

كما أن مسابقات المطارحة والألعاب القتالية الحديثة كالكاراتيه والتايكواندو والجودو ونحوها من الرياضات النبيلة، التي لا يقع فيها أذى لأي طرف، وتعرف في السابق بالمصارعة، وهي أشبه ما تكون بالرياضة الرومانية التي ليس فيها قصد لأذى أحد المصارعين للآخر، وقد ورد في المصارعة أن سمرة بن جندب ورافع بن خديج ﷺ تصارعا بين يدي النبي ﷺ يوم أحد. رواه الحاكم والطبراني. ليتبين الأقوى فينال شرف الجهاد. وفي حديث ركانة بن عبد يزيد قال: كنت أنا والنبي ﷺ في غنيمة لأبي طالب نرعاها في أول ما رأى ، إذ قال لي ذات يوم: هل لك أن تصارعني؟ قلت له: أنت ؟ قال: أنا، فقلت: على ماذا؟ قال: على شاة من الغنم، فصارعته فصرعني" رواه البيهقي. وقد أفادت هذه المصارعة إسلام ركانة لأنه علم أن النبي ﷺ معان من الله تعالى. ورد عليه النبي ﷺ غنيمته. وننبه هنا إلى أن الألعاب القتالية العنيفة لا تتفق مع الأحكام الشرعية مثل المصارعة والملاكمة.

وقد كان سلف الأمة يربون أبناءهم على التدريب العسكري، وأن تكون متعتهم التي يلجؤون إليها للتخفيف من ضغوط التعليم هو التدرب على الرمي ليكونوا على استعداد تام عند الحاجة إليهم. من أجمل وأمتع وسائل الترفيه الرمي بالسلاح للتمرين على الإصابة والدقة، فقد

ثبت في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول:" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي". وخرج النبي ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق فقال: ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا..". رواه البخاري.

بل حذر النبي ﷺ من نسيان الرمي حيث قال:" من تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا". رواه مسلم.

ومما ورد في فضل الرماية ممارسة وتعلما وتعليما حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو غير أربع خصال : تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بين الغرضين، وتعليم السباحة" أخرجه النسائي في الكبرى (٨٩٣٨-٨٩٤٠).

ولذا حرص على هذا الأمر حيث كانوا يتواصون به فكتب عمر ﷺ إلى أبي عبيدة ﷺ أن علموا غلمانكم العوم ومقاتلتكم الرمي" رواه أحمد. وقال سعد بن أبي وقاص ﷺ:" عليكم بالرمي فإنه خير لهوكم". وكان أنس ﷺ يجلس ويطرح له فراش ويجلس عليه ويرمي ولده بين يديه، فخرج يوما وهم يرمون فقال: يا بني بئس ما ترمون ، ثم أخذ القوس فرمى فما أخطأ القرطاس".

وأوصى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله مؤدب ولده سهلا قائلا : " وليفتح كل غلام فيهم بجزء من القرآن يثبت في قراءته فإذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج إلى الغرض حافيا فرمى سبعة أرشقة ثم انصرف إلى القائلة ". ولك أن تلاحظ في هذه الوصية التي جمعت ما بين التعليم والعبادة والترفيه، والراحة. فيبدأ بحفظ حزبه القرآني، وبعد انتهائه منه يذهب ليتدرب على الرماية، ويكون ذلك حالة الاحتفاء ليعتاد الخشونة، فإذا أصاب الهدف سبع مرات، فإن المؤدب يسمح له بالذهاب للقيلولة والراحة.

المسار (١٢) :تعليم الفروسية والسباحة للصغار

من المعلوم أن الصغار يختلفون في الميول، فقد يميل أحدهم للعلم والحفظ، ويميل آخر للقوة والفروسية، وعلى المربي أن ينتبه للقدرات فلا يكلف الصغير ما لم يفتح الله عليه، قال ابن القيم رحمه الله : " إذا رأى الصبي وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح وأنه لا نفاذ له من العلم ولم يخلق له ومكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين".

وقد تقدم في مقال سابق أهمية التأهيل البدني لأبناء الأمة والوطن ليكونوا جاهزين عند الاحتياج إليهم كما في حال الدفاع عن الأوطان من أعداء الخارج وخلايا التخريب في الداخل، وفي حال الكوارث التي لا ينفع فيها إلا قوي النفس، رياضي البدن.

وحيث إن مواسم السيول قريبة، فإن من أهم ما يحتاج إليه أبناؤنا في سبيل خدمة أمتهم ووطنهم إتقان السباحة لما فيها من رياضة وتنشيط للدورة الدموية وتنشيط للبدن، وإنقاذ للنفس عند الحاجة، ومساهمة في إنقاذ الآخرين كما في حال السيول الجارفة أو سقوط الصغار في المسابح المكشوفة، وهذا يبين أن معرفة السباحة غاية في الأهمية ولذا حرص على هذا الأمر حيث كانوا يتواصون به فكتب عمر

ﷺ إلى أبي عبيدة ﷺ أن علموا غلمانكم العوم ومقاتلتكم الرمي" رواه أحمد.

وهي من أفضل وسائل الترفيه وأنفعها للبدن والنفس، وقد جاءت النصوص النبوية بمدح هذه الوسيلة واستحباب تعلمها وتعليمها، لأنها قد تكون وسيلة لإنقاذ النفس، ومن طريف ما يذكر أن نحويا صعد سفينة فسمع ربان السفينة يصيح بأعلى صوته: ارفعوا الشراعُ يا أيها البحارة، فقال النحوي للربان: ألا تعرف النحو؟ قال: لا ، فقال النحوي: فاتك نصف عمرك!. فهبت عاصفة هزت السفينة حتى ارتفعت الأمواج وتلاطمت، فقال الربان للنحوي: أتعرف السباحة؟ قال: لا ، فقال الربان: فاتك عمرك كله!.

ومما ورد في فضل السباحة ممارسة وتعلما وتعليما حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال:" كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو غير أربع خصال : تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بين الغرضين، وتعليم السباحة" أخرجه النسائي في الكبرى (٨٩٣٨-٨٩٤٠).

وليعلم أن معرفة السباحة غاية في الأهمية ولذا أوصى الحجاج مؤدب بنيه بقوله : " علمهم السباحة قبل الكتابة فإنهم يجدون من يكتب عنهم ولا يجدون من يسبح عنهم ". ولذا أوصى الحجاج بن يوسف

مؤدب بنيه بقوله : " علمهم السباحة قبل الكتابة فإنهم يجدون من يكتب عنهم ولا يجدون من يسبح عنهم ". عيون الأخبار٢/١٦٦ .

ويدخل في ضمن ذلك رياضة الغوص، وتقوية القدرة على البقاء داخل الماء دون تنفس، وهذه الوسيلة الترفيهية رياضة جماعية، وفيها فائدة تمرين الصدروالرئتين على الحصول على كمية أكبرمن الهواء مع التكراروالصبر، ولذا نلاحظ أن الغواص المحترف يمكث تحت مدة أطول من غيره لتمرن رئتيه على ذلك ، وقد ورد في هذا النوع من المسابقات أن عمربن الخطاب ﷺ مربساحل البحروهو محرم فقال لابن عباس ﷺ: تعال أباقيك في الماء أينا أطول نفسا، قال ابن عباس: ونحن محرمون، وجاء عن ابن عمرأن عاصم بن عمروعبدالرحمن بن زيد وقعا في البحريتمالقان (يتغاطسان) يغيب أحدهما رأس صاحبه وعمر ينظر إليهما فلم ينكر ذلك عليهما. رواه البيهقي.

المسار (١٣) :الأهمية التربوية للمسابقات الرياضية

من طبيعة النفس البشرية حب المنافسة، والطموح للتقدم في كل شيء، ولذا فإن الحكمة استغلال ذلك في ما يفيد الأبدان بإجراء المسابقات الرياضية في المحاضن التربية وداخل البيوت.

وتعتبر المسابقة بالأقدام من أقدم أنواع المسابقات وأسهلها وأقلها كلفة، وقد وردت في قصة يوسف أن إخوته قالوا :"إنا ذهبنا نستبق..." (يوسف:١٧)، قال المفسر ابن سعدي رحمه الله : نستبق إما على الأقدام أو بالرمي والنضال.

كما أن النبي ﷺ استخدم هذا الأسلوب التربوي الترفيهي كما في حديث عائشة ﷺ أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر فسابقته على رجلها فسبقته قالت: فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال: "هذه بتلك"، رواه أبو داود (٢٥٧٨) والنسائي في الكبرى ٣٠٤/٥ وابن ماجه (١٩٧٩) وأحمد ٢٦٤/٦ بسند صحيح.

وبعد غزوة ذي قرد سابق سلمة بن الأكوع رجلا من الأنصار إلى المدينة بإذن النبي ﷺ فسبقه سلمه" رواه مسلم(٤٦٥٤).

وعندما قفل النبي ﷺ وأصحابه من غزوة تبوك قالت الأنصار: السباق؟! فقال النبي ﷺ: إن شئتم. رواه ابن أبي شيبة ٥٠٨/١٢.

وسابق ابن الزبيرعمربن الخطاب ﷺ فسبق ابن الزبيرفقال: سبقتك .... قال عبدالله: ثم سبقني فقال: وسبقتك ورب الكعبة" رواه البيهقي في الكبرى ٢٩/١٠

ومن أنواع المسابقات التربوية الترفيهية رياضة الفروسية وهي رياضة النبلاء والقادة، لأنها تدل على شجاعة وثبات ورباطة جأش وقوة عزيمة، ولقد حث الشرع على أن يكون الترفيه البدني معينا على الاستعداد العسكري وأجازبذل العوض فيه والأصل في ذلك حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" لا سبق إلا في خف أوحافرأونصل" رواه الأربعة بسند صحيح. وما رواه أحمد بسند صحيح عن ابن عمررضي الله عنهما أن النبي ﷺ سبَّق بين الخيل وراهن" وفي لفظ:"سبق بين الخيل وأعطى السابق" وأصل الحديث في مسلم بلفظ:" أن النبي صلى الله عليه وسلم سابق بالخيل..." بدون ذكرالرهن.

ومن الاستعداد لمسابقات الفروسية تعليم الفرس وتأديبها، وفي ذلك أجرإذا احتسب صاحبه ذلك عند الله تعالى، لحديث جابررضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" كل شيء ليس من ذكرالله فهولهو أوسهوغير أربع خصال : تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بين الغرضين، وتعليم السباحة". رواه النسائي في الكبرى بسند صحيح.

ومن المسابقات الرياضية التربوية عند العرب السباق على الإبل التي هي وسائل النقل المثلى في الصحارى والفيافي والقفار، وقد كان أغنياء العرب يتنافسون في اقتناء الإبل الأصيلة السريعة الصبورة، وإجراء المسابقات بين الإبل أمر شائع في العهد النبوي ففي صحيح البخاري عن أنس قال: كانت لرسول الله ﷺ ناقة تسمى العضباء لا تسبق..."، وروى بان أبي شيبة في مصنفه أن الصحابة كانوا يسابقون على الخيل والركاب وعلى أقدامهم.

وقد كانت المدارس في السابق مصنعاً للكفاءات الرياضية، أصحاب المهارات الفنية، إلا أن ذلك انعدم أوكاد، بسبب إغفال الإدارات المدرسية للمسابقات بين المدارس في جميع الأنشطة الرياضية دون اقتصارعلى رياضة واحدة. ونأمل من القيادة الجديدة للوزارة التعليم أن تولي هذا الجانب اهتمامه اللائق به.

كما أن مدارسنا – في الغالب – تحوي ملاعب رياضية جيدة، ولا يستفاد منها إلا ساعات صباحية، فما هو المانع من فتحها لشباب وفتيان الأحياء لقضاء أوقاتهم فيما ينفعهم في أبدانهم ويمنعهم من إضاعة أوقاتهم فيما يضرهم. وقد كانت بطولات الحواري قبل عشرات السنين مجالاً لإظهار المهارات للشباب قبل أن تختطفهم وسائل الإعلام

المرئية، والألعاب الإلكترونية مما أثر في صحتهم وجلب لهم أمراض الكهولة قبل أوانها.

إن المسابقات الرياضية ليست للترفيه فحسب، إنها تبني للاعب مواهب العمل الجماعي ومهارات القيادة والتغلب على المشكلات، وخلق الصبروالحلم على الأذى، إنها مدرسة للفن والذوق والأخلاق.

المسار (١٤) :اللعب بعد التعب

أنهى أبناؤنا الطلاب اختباراتهم، وبذلوا جهدهم فمستقل ومستكثر، وكانت الأسر في الأسابيع الماضية في حالة تأهب قصوى، وقد حصد كل مجتهد ما زرع، ومن حق أبنائنا علينا أن يرفهوا عن أنفسهم بعد التعب والنصب.

والنشاط الترويحي ضروري للبدن ولذا جاء في قصة حنظلة - ﷺ - قال: لقيني أبو بكر الصديق - ﷺ - فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله! ما تقول ؟ قال: قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى وكأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر الصديق حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله!، فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا. فقال ﷺ: والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على

فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة-ثلاث مرات" رواه مسلم.

ولما رأى النبي ﷺ من عبدالله بن عمرو ﷺ زيادة في التعبد على حساب حاجات أخرى أمره بالتوازن فقال:" صم وأفطروقم ونم فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا" رواه البخاري.

وقد جاءت الآثارعن الصحابة للتأكيد على هذا المفهوم فقال على ﷺ: أجموا هذه القلوب والتمسوا لها طرائف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان"، وقال ابن مسعود ﷺ:أريحوا القلوب فإن القلب إذا أكره عمي بهجة المجالس لابن عبدالبرص٤٤.

إلا أن هذا لا يعني أن يغلب الترفيه الجد في حياة المسلم، بل الغالب على المسلم أن يكون جادا منتجا والترفيه طارئ. كما أن الترفيه له أهداف رئيسية وأهداف جانبية.

ولهو الصغار وتلعيبهم في بعض الأوقات من الوسائل التي تقرب الأسر من بعضها، وتعيد للأجسام نشاطها، ولذا فإن جميع النظم التعليمية تفرض إجازات بعد الامتحانات.

ولتتأمل أخي القارئ كيف أن النبي ﷺ عندما تزوج عائشة ﷺ كانت صغيرة في السن، ولذلك كان ﷺ يعطيها حقها من اللهو، فقد أذن لها برؤية الحبشة وهو يلعبون بالحراب في المسجد. رواه البخاري (٥١٩٠) ومسلم (٨٩٢).

ومن الأساليب التي يستعملها السلف لتفريح الصغار إحضار اللعابين للطفل عند الحاجة كما إذا كان مريضا أو قريب عهد بختان، فقد ورد عن عكرمة قال : ختن ابن عباس بنيه فأرسلني فجئته بلعابين فلعبوا وأعطاهم أربعة دراهم. رواه وابن أبي الدنيا في العيال ٧٨٨/٢ والختان عندهم كان في سن متقدمة كالسابعة وبعضهم يؤجل الختان إلى الثالثة عشرة.

وما أجمل أن يكون تفريح الصغار بهدايا نافعة كأجهزة الحاسب الآلي، مع البرامج المفيدة، أو اشتراك في قنوات الصغار الهادفة، أو شراء مكتبة تزيد من ثقافتهم، أو أدوات رياضية تقوي أبدانهم.

وأما أجهزة الألعاب الإلكترونية الحديثة، فيجب التعامل معها بحذر شديد، ففي بعض الألعاب ما يدعو للعنف والاستخفاف بالسلطات الأمنية، ويحسن القتل والتفجير والأعمال الإرهابية، وفيها ما يهدم

القيم والأخلاق، فإن كان ولا بد فليكن شراء الأشرطة تحت إشراف ولي الأمر.

وما أحسن الخروج بالأولاد للنزهة في أجواء الشتاء الجميلة، على سواحل البحار النظيفة، وفي الصحاري الذهبية، فيتعلم الأولاد الاعتماد على أنفسهم والتغيير بالسفر فيه مصلحة واضحة جلية، قال الشافعي:

ما في المقام لذي عقل وذي أدب من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضا عمن تفارقه وانصب فإن لذيذ العيش في النصب

إني رأيت وقوف الماء يفسده إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب
الأسد لولا فراق الغاب ما قنصت والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت في الفلك دائمة لملها الناس من عجم ومن عرب
والبدر لولا أفول منه ما نظرت إليه في كل حين عين مرتقب
والتبر كالترب ملقى في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطب
فإن تغرب هذا عز مطلبه وإن أقام فلا يعلو على رتب

وقال :

الكحل نوع من الأحجار منطرحا في أرضه كالثرى يرى على الطرق

لما تغرب نال العز أجمعه فصار يحمل بين الجفن والحدق

ولكن العاقل من يتعظ بسفره ويجعل سياحته تقربه لربه وتزيد من إيمانه ومعرفته وثقافته، ولما أراد أعداء ابن تيمية طرده من بلاده قال - يرحمه الله -: "ما ينقم مني أعدائي. أنا جنتي في صدري. قتلي شهادة، وتسفيري سياحة، وسجني خلوة".

المسار (١٥) :وقاية الصغار قبل العلاج

من أعظم مقاصد الإسلام المحافظة على النفس، ولذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتداوي كما في حديث:" تداووا عباد الله ولا تداووا بحرام"، وقبل التداوي لا بد من الوقاية وكما قيل: درهم وقاية خير من قنطار علاج. ولذا فإن من أهم واجبات المربي وولي الطفل أن يحافظ على صحة الصغير، لأنه في العادة لا يقدر المخاطر ولا يحرص على التوقي منها. ونحن نجد في تراثنا لإسلامي ما يؤيد هذا الحق.

ومن المخاطر الصحية تعرض الصغار للأجواء الضارة من شدة حرارة شمس الصيف أو شدة برودة الشتاء، وقد روى الحاكم من حديث فاطمة ﷺ أن رسول الله عليه وسلم أتاها يوما فقال : أين ابناي ؟ فقالت : ذهب بهما علي . فتوجه رسول الله عليه وسلم فوجدهما يلعبان في مشربة وبين أيديهما فضل من تمر. فقال : أيا علي ألا تقلب ابني قبل الحر؟ رواه الحاكم ١٨٠/٣ برقم ٤٧٧٤. وذلك لأن التعرض للشمس قد يرفع حرارة الجسم وقد يوصل إلى ضربة شمسية، وقد يسبب التهابات جلدية، ولذا وجه النبي ﷺ عليا ﷺ أن يصرف الصغيرين قبل اشتداد الحر.

ومما يجب أن يعتنى به منع التهاب الجروح بتنظيفها، حتى لا يحصل تلوث بالجرح ، وقد روت عائشة ﵂ قالت : عثر أسامة بعتبة الباب فشج في وجهه فقال رسول الله ﷺ : أميطي عنه الأذى ، فتقذرته ، فجعل رسول الله ﷺ يمصه ويمجه ثم قال : لو كان أسامة جارية لحليناه وكسوناه حتى ننفقه. رواه ابن ماجه ٦٣٥/١ وأحمد ٦/ ٢٢٢ وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٣٥٦). ولاحظ كيف أن النبي ﷺ ينظف جرح أسامة بن زيد ﵁، بهذه الطريقة التي تبين رحمته ﷺ وتواضعه، كما أنه ﷺ واساه وتلطف معه بقوله: لو كان أسامة جارية لحليناه وكسوناه حتى ننفقه.

وتعد النظافة العامة للطفل من أهم ما يقيه من الأمراض، ونجد ذلك في قصة روتها عائشة ﵂ أن أسامة كان بين يدي رسول الله ﷺ فذهب يمسح مخاطه فقالت عائشة ﵂ : دعني يا رسول الله دعني أنا إليه ، فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة أحبيه فإني أحبه. أخرجه الترمذي. ولك أن تقارن تصرف بعض الآباء إذا رأوا قذرا في أنف الصغير بالموقف النبوي الكريم الذي صرح للصغير بالحب، وقام لتنظيفه، مع كونه ابنا لمولاه زيد بن حارثة ﵁.

ونجد في روائع الحضارة الإسلامية اهتمام الدولة المسلمة بالطفولة وخاصة تغذيتهم بما يقويهم، لأنهم عدة المستقبل ورجال الغد، مع ما هو معلوم من أن سوء التغذية من أكبر أسباب وفاة الأطفال في العصور الماضية. ولذا فقد أيقن المجاهد صلاح الدين أن التغذية السليمة للطفل تجعله قويا سليم الجسم ، فلبعد نظره أوقف صلاح الدين وقفا لإمداد الأمهات بالحليب اللازم لأطفالهن وقد جعل في أحد أبواب قلعة دمشق ميزاباً يسيل منه الحليب وميزابا يسيل منه الماء المذاب بالسكر، فتأتي الأمهات يومين في كل أسبوع فيأخذون لأطفالهن ما يحتاجون إليه من الحليب والسكر. من روائع حضارتنا /١٢٧.

وبعكس النظرة الموجودة لدى الآباء بمحاولة نفخ الصغير بتسمينه بالوجبات السريعة والسكريات ورقائق البطاطس المقلية التي ضررها أكثر من نفعها، وقد كان السلف يحذرون من تسمين الصغار. فقد قال إسماعيل بن عبيدالله : أمرني عبدالملك بن مروان أن أجنب بنيه السمن وأن لا أطعمهم طعاما حتى يخرجوا إلى البرازوأن أجنبهم الكذب وإن كان فيه بعض القتل. رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٥١١/١.

ومن صور التربية البدنية للصغار إقامة السباق بينهم، وإعطاء السابق بينهم، فقد روى عبدالله بن الحارث ﷺ قال: كان ﷺ يصف عبدالله

وعبيدالله – من بني العباس- ثم يقول: من سبق إلي كذا فله كذا وكذا، قال : فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم. رواه أحمد ٢١٤/١، وثبت عن عائشة ﷺ أنه ﷺ سابقها مرة فسبقته ثم سابقها بعد أن حملت اللحم فسبقها فقال ﷺ:" هذه بتلك" رواه أحمد ٢٦٤/٦ والنسائي في الكبرى ٣٠٤/٥. ومن اللعب المحببة لدى أطفال ذلك الجيل اللعب بالأرجوحة، فقد ورد عن عائشة ﷺ أنها كانت تلعب بالأرجوحة مع صاحباتها قبل دخول النبي ﷺ بها. رواه البخاري برقم ٣٨٩٤ ومسلم برقم ١٤٢٢.

المسار (١٦) :اختيار أصحابهم

الجليس الصالح نعمة لا تقدر بثمن، لأنه يعين على أمور الدين والدنيا، ولا أروع من تشبيه النبي ﷺ للجليس الصالح ببائع الطيب كما في الحديث المشهور:" مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة". وصدق الشاعر الحكيم في قوله:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقد يكون من المصلحة أن يكثر مجالسة الكبار، لتكبر همته، ويزيد عقله بالاستفادة من أصحاب التجارب والخبرات، فقد روى الخلال بسنده إلى علي بن جعفر أنه قال: مضى أبي إلى أبي عبدالله- يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه- وذهب بي معه فقال له: يا أبا عبدالله، هذا ابني، فدعا لي، وقال لأبي: ألزمه السوق وجنبه أقرانه[١].

---

١ رواه الخلال في الحث على التجارة /٢٩.

قال الغزالي : ويحفظ الصبي من الصبيان الذين عُوِّدوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة[١].

١الإحياء ٣/٧٠.

المسار (١٧) :التوسعة عليهم عند القدرة

النفقة واجبة على الأب، والأصل في ذلك قوله تعالى:" لينفق ذو سعة من سعته، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله". ولكن البعض يكتفي بما يقوم به قوام البدن، مع سعة الرزق، والمشروع للأب أن يوسع على أبنائه إذا كان في استطاعته، وهذا داخل في عمومات النصوص التي منها:" خيركم خيركم لأهله" وحديث:" إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده" ، ومن أولى ما يدخل في ذلك التوسعة على الأولاد باللبس الحسن والطعام الحسن بل وتطييبهم بأنفس الطيب ، قالت أم أبي محمد التمار: ربما حملنا أولاد أيوب فعبق لنا من ريحهم ريح المسك أو الطيب[١].

---

١ رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٥٦١/١.

المسار (١٨) :التربية بالحب

لقد شاع استعمال مصطلح التربية بالحب لدى المختصين في علم التربية، ومقصودهم به أن يشعر الصغير بمظاهر الحب من قبل الوالدين أو المربي أيا كان، مما يجعله ينصاع للتوجيهات ويقل عناده وتهدأ نفسه، فالطفل يحتاج إلى تلك المشاعر الرقيقة ، ولذا نجد فرقا شاسعا بين من تربى بين أحضان والديه ومن نشأ يتيما، وسبب التفاوت الرئيس هو عدم إشباع عواطف اليتيم، ولذا فمن لا يظهر عاطفة الحب لأبنائه فقد حكم عليهم باليتم المعنوي، فحالهم وحال الأيتام الحقيقيين سواء، وصدق أمير الشعراء أحمد شوقي - رحمه الله – في قوله:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... هم الحياة وخلفاه ذليلا

إن اليتيم هو الذي تلقى له ... أما تخلت أو أبا مشغولا

فلا تبخل أخي الكريم على أولادك بحقهم في إظهار مشاعر قلبك نحوهم.

ولهذا النوع من التربية مظاهر منها تقبيلهم واحتضانهم والدعاء لهم وتفريحهم والسماح لهم باللعب . ولكل مظهر شواهد جليلة من النصوص الشرعية وعمل صالحي سلف الأمة.

وإن من أعظم مظاهر الحب وأقرب رسائله القبلة الحانية واللمسة الناعمة، وهذا الفعل الطبعي من الرحمة التي يؤجر العبد عليها إن استثمرها المؤمن ونوى بها النية الصالحة، وقد صح في حديث أبي هريرة - ﷺ - أن النبي - ﷺ - قبَّل الحسن وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه النبي - ﷺ - ثم قال: من لا يرحم لا يرحم" رواه البخاري برقم (٥٩٩٧) ومسلم برقم (٢٣١٨). فجعل التقبيل من الرحمة التي يستحق بها العبد الثواب، وجعل عدم تقبيل الصغير مظهرا لعدم الرحمة ، بل وتوعد على عدم الرحمة من العبد أن يحرم من رحمة الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، وما ذاك إلا لدلالة عدم الرحمة على سوء في قلب الإنسان.

وأتركك أيها القارئ الكريم مع هذه القصة المؤثرة عندما افتقد نبي الرحمة ﷺ ابنه إبراهيم، فوجده عند حداد، وكيف صنع به عندما رآه، فقد روى مسلم عن أنس قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم : (ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم، قال أنس : ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين (مملوك يمتهن الحدادة) يقال له أبو سيف ، فانطلق - يعني رسول الله ﷺ – يأتيه واتبعته فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ

بِكِبِرِهِ ، وقد امتلأ البيت دخانا ، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ قفلت : يا أبا سيف أمسك جاء رسول الله ﷺ ، فأمسك ، فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول رواه مسلم برقم (٢٣١٥). ولاحظ كيف أن عبارات أنس لم توف الموقف جماله وتعبيره، فعجز الكلام عن تصوير الموقف، فترك السامع في جو من التخيل لموقف اللقاء بين الابن الصغير ووالده نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، فاختار أنس أن يقول:" فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول".

وقد كان نبي الرحمة ﷺ صريحا في إبداء مشاعره نحو الصغار، حتى في مواقف الجد كخطبة في المسجد أمام الصحابة، فقد قال بريدة بن الحصيب ﷺ: كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه وقال: صدق الله: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما. رواه أبو داود ٤٥٨/٣ ، والترمذي ٢٧٨/١٠ ، وابن ماجه ١١٩٠/٢ وحسنه الأرناؤوط في تحقيق جامع الأصول٣٣/٩.

وهذه المواقف من نبي الرحمة ﷺ قدوة لنا في التعامل مع صغارنا، وصدق الله تعالى:" لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر...".

المسار (١٩) :ترفيه الصغار

اللعب كما قيل ربيع الصغار، ولا بد للغير من أخذ حظه من اللعب، ولذا فإن من مهام المربي إتاحة فرصة اللعب للطفل لتنمو قدراته ويستعمل خياله الواسع، وقد كان النبي ﷺ على كثرة أعماله من تبليغ الناس رسالة ربه سبحانه وتعالى، وإدارة للدولة الإسلامية والقضاء بين الناس وتعليمهم والإصلاح بينهم ، مع ذلك كله كان لا يغفل أمر اللعب مع الصغار ومحاكاتهم في طريقة تفكيرهم، فنجد في سيرته صلى الله عليه وسلم أنه كان يداعب الصغار ويلاعبهم، فمن الأمثلة التي حفظتها لنا كتب السنة ما ورد عن أبي هريرة ﷺ " أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاءَ فأخذ الحسنُ والحسين يركبان على ظهره فلما جلس وضع واحدا على فخذه والآخر على فخذه الأخرى ..." (أخرجه أحمد ٥١٣/٢) ، وهي عادة ملحوظة للصغار إذا رأوا الأب أو الأم في الصلاة فإنهم يثبون على ظهره لعدم معرفتهم للصلاة وحرمتها، ومع ذلك نجد نبي الرحمة ﷺ يقبل فعلهم بل ويداعبهم حال الجلوس بوضعهم على فخذيه ﷺ. ويبدو أن هذا الأمر يتكرر كثيرا، ففي حديث شداد بن الهاد ﷺ أنه رأى الحسن أو الحسين على ظهر النبي ﷺ وهو ساجد فأطال السجود، فلما قضيت الصلاة قال الناس: يا رسول الله

إنك سجدت بين ظهراني صلاتك هذه سجدة قد أطلتها فظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك، قال:" فكل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أُعجله حتى يقضي حاجته" (رواه أحمد ٤٩٣/٣ والنسائي ٢٢٩/٢ والحاكم ٢٨٧/١ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي) ، ولاحظ أخي القارئ الكريم كيف أنه ﷺ كره أن يحزنه وأطال السجود من أجله!.

وقد كان بعض الصحابة يظن أن هذا الأمر يزعج النبي الكريم ﷺ ، فيحاولون منع الصغيرين من الوثوب على ظهره ﷺ حال السجود، فينهاهم ويفديهما بأبيه وأمه ويدعوا لمحبتهما، ففي حديث ابن مسعود ﷺ قال : كان النبي ﷺ يصلي والحسن والحسين يثبان على ظهره فيأخذهما الناس فقال : دعوهما بأبي هما وأمي، من أحبني فليحب هاذين" (رواه ابن حبان كما في الموارد٢٢٣٣ ، والطبراني في الكبير٣/٤٠، والبيهقي في الكبرى مرسلا ٢٦٣/٢ ورواه أبو يعلى بمعناه ٤٣٤/٨ وحسنه الشيخ مصطفى العدوي في فقه تربية الأطفال/٧١).

وقد كان ﷺ كثير الملاعبة للصبيان لدرجة أنه انتشر بين الصحابة ذلك، فقد ورد عنه ﷺ أنه كان من أفكه الناس مع صبي (رواه البخاري في الأدب المفرد).

وكان الرعيل الأول من السلف الصالح ينكرون على من ينهى الأطفال عن اللعب بدون مسوغ ، فقد ورد عن الحسن أنه دخل منزله وصبيان يلعبون فوق البيت ومعه عبدالله ابنه فنهاهم فقال الحسن : دعهم فإن اللعب ربيعهم (رواه ابن أبي الدنيا في العيال ٧٩١/٢).

وقد وصل الأمر عند السلف لدرجة اعتبار عدم ملاعبة الصغار قدحا في رحمة الرجل، وسببا لعزله، فقد عزل عمر واليا لأنه لا يلاعب أطفاله (عبقرية عمر للعقاد ص١٧٣). وهذا يدل على الهيبة المصطنعة لمن يتعين في منصب لا توافق الهدي الإسلامي الصحيح.

وضابط اللعب عندهم ما كان في فضاء المباح، ولم يدخل في دائرة الحرام، ودليله قول إبراهيم النخعي: كانوا يرخصون للصبيان في اللعب كله إلا بالكلاب (رواه البخاري في الأدب المفرد برقم ١٢٩٧ وابن أبي الدنيا في العيال ٧٩٨/٢).

ومن الأساليب البسيطة والمفيدة للعبهم وتنمية قدراتهم وتفكيرهم السماح لهم باللعب بالتراب، وقد ذكر البيهقي بابا في ما ورد من لعب الصبيان بالتراب[١].

١٠١/١١-١٢.

وما أحسن ما نقله ابن مفلح عن ابن عقيل الحنبلي أنه قال:" والعاقل إن خلا بأطفاله خرج بصورة طفل ويهجر الجد في ذلك الوقت" (الآداب الشرعية ٣/٢٢٨).

المسار (٢٠) :تنمية الخيال لدى الصغار

إن للصغار خيالاً واسعاً، ينبغي على المربين مراعاته واستثماره، لأنه كالبئر إن لم يستنبط ما به من ماء فإنه يغور، ولذا نجد أن الشرع أباح لهم اللعب بالدمى لما فيه من مصلحة، ولقلة المفسدة، فقد ورد عن عائشة ﷺ أنه قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبت ريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي. ورأى بينهن فرسا لها جناحان من رقاع، فقال: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس. قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان. فقال: فرس له جناحان؟ قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟ قالت: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه . رواه أبو داود(٤٩٣٢).

وفي الصحيحين عنها ﷺ قالت:" كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن منه فيُسَرِّبُهن إليَّ فيلعبن معي". قال القاضي عياض - رحمه الله - : فيه جواز اللعب بهن وهن مخصوصات من الصور المنهي عنها لهذا الحديث، ولما فيه من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن، وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن. وفي الحكمة من ذلك يقول الحليمي -

رحمه الله - : في ذلك فائدتان: إحداهما عاجلة والأخرى آجلة. فأما العاجلة، فالاستئناس الذي في الصبيان من معادن النشوء والنمو. فإن الصبي إن كان أنعم حالا وأطيب نفسا وأشرح صدرا كان أقوى وأحسن نموا، وذلك لأن السروريبسط القلب، وفي انبساطه انبساط الروح، وانتشاره في البدن، وقوة أثره في الأعضاء والجوارح. وأما الآجلة فإنهن سيعلمن من ذلك معالجة الصبيان وحبهم والشفقة عليهم، ويلزم ذلك طبائعهن، حتى إذا كبرن وعاين لأنفسهن ما كن تسرين به من الأولاد كن لهم بالحق كما كن لتلك الأشباه بالباطل.

ويلاحظ في الحديث كيف أن النبي ﷺ يهيئ الأجواء الملائمة للعب الزوجة الصغيرة الحبيبة إلى قلبه – عائشة ﵂، مع أنها في ذلك الوقت مكلفة، ولكن طبيعة سنها ترغب في اللعب بالدمى، مع صويحباتها وصديقاتها.

كما يدل وجود الفرس الذي له جناحان في حديث عائشة ﵂ أنه لا يشترط أن تكون العرائس لأطفال، بل يمكن أن تكون لحيوانات خيالية.

وهذا ليس خاص بالفتيات، فقد قال أبو يوسف - رحمه الله - : يجوز بيع اللعبة، وأن يلعب بها الصبيان. ويدل على ذلك ما ثبت في

الصحيحين عن الربيع بنت معوذ الأنصارية ﷺ أنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: من كان أصبح صائما فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية يومه. فكنا بعد ذلك نصومه ونصوم صبياننا الصغار منهم إن شاء الله، ونذهب بهم إلى المسجد، فنجعل - وفي رواية: فنصنع - لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياه حتى يكون عند الإفطار.

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - :" إن كانت لعب الأطفال المجسمة كخلق الإنسان فاجتنابها أولى ولكن لا أقطع بالتحريم لأن الصغار يرخص لهم ما لا يرخص للكبار في مثل هذه الأمور فإن الصغير مجبول على اللعب والتسلي وليس مكلفا بشيء من العبادات حتى نقول : إن وقته يضيع عليه لهوا وعبثا...".

ومن اللعب المحببة للصغار التي تنمي الخيال في عقولهم الغضة ملاعبة الحيوانات الأليفة واقتنائها، وقد ذكر العلماء أنه يجوز لعب الأطفال ببعض الحيوانات والطيور إذ لم يكن فيه أذى لها، ففي الصحيحين عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال لأخ لأنس - ﷺ - :" يا أبا عمير ما فعل النغير". وقد ذكر العلماء في فوائده: جواز لعب الصغير بالطير

وجوازترك الأبوين ولدهما الصغيريلعب بما أبيح له اللعب به وجواز إنفاق المال فيما يتلهى به الصغيرمن المباحات وجوازإمساك الطيرفي القفص ما دام يطعمه ويسقيه وأشاربعض أهل العلم إلى جوازقص جناح الطيرحتى لا يطير.

وما اشتهرالصحابي الجليل أبوهريرة الدوسي - ﷺ - بهذه الكنية إلا لهرة كان يحملها معه ويلاعبها.

المسار (٢١) :احترام الصغار

إن مما يلحظ من بعض الناس عدم احترام الصغاروتوقيرهم وإعطائهم حقوقهم، وبالمقابل، يلح من الصغار أن يحترموا من هو أكبر منهم وهذا حق، ولكن الذي أمرنا به ديننا أن يكون الاحترام متبادلا، فلكل حق على الآخر.

إن للصغير حقوقا على غيره. فمن ذلك تشميت الصغير إذا عطس ، قال الإمام ابن مفلح رحمه الله : روى عبدالله بن أحمد: عن الحسن أنه سئل عن الصبي الصغير – أي غير المميز- يعطس؟ قال: يقال له: بورك فيك. وقال صاحب النظم: إن عطس صبي عُلِّم الحمد لله ثم قيل له: يرحمك الله أو بورك فيك ونحوه، ويعلم الرد. وإن كان طفلا حمد الله وليه أو من حضره، وقيل له نحو ذلك. ومال ابن مفلح إلى أنه لا يقال عنه: الحمد لله، لأنه غير مكلف، ولأن العبادة البدنية المحضة لا تفعل عن الحي، كما أنه لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه استحباب ذلك مع توافر الهمم على نقله[1].

---

١ الآداب الشرعية ٣٢٧/٢.

ومن حق الصغير أن يسلم عليه فعن أنس ﷺ قال:" كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فمر على صبيان فسلم عليهم"[١].

ومن ذلك أن يُستأذن عليه عند الدخول فقد قال جابر ﷺ: " يستأذن الرجل على ولده وأمه وإن كانت عجوزا وأخيه وأخته وأبيه [٢].

ولا يقدم عليهم في حقهم إلا بإذنهم فعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام:" أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ، فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أؤثر بنصيبي منك أحدا، فتله رسول الله ﷺ في يده"[٣].

ومن ذلك احترام عقولهم بعدم الكذب عليهم فعن عبدالله بن عامر ﷺ قال:" أتانا رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، قال: فذهبت أخرج لألعب فقالت أمي: يا عبدالله تعال أعطيك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: تمرا، فقال: أما إنك لو لم

١رواه الترمذي ١٦٠٢/٤ (٢٨٣٧) وقال الترمذي: حديث صحيح.

٢رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٦٦).

٣رواه البخاري ٢١٣٠/٥ (٥٢٩٧) ومسلم ١٦٠٤/٣ (٢٠٣٠).

تفعلي كتبت عليك كذبة"[١]، وصح عنه ﷺ أنه قال:(إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا أن يعد الرجل ابنه ثم لا ينجزله)[٢].

وقد يكون لدى الطفل من العلم ما يستطيع به أن ينفع مجتمعه، وخصوصا في البيئات البعيدة عن العلم، فقد يتعلم الطفل القرآن ويكون في بيئة لا يتقن أهلها القراءة الصحيحة، وفي هذه الحالة فإن الطفل مؤهل لينقل معارفه لمن حوله، ولا يمنعه صغره من الإنتاج ونفع مجتمعه. قال ابن عيينة: الغلام أستاذ إذا كان ثقة. وقال عمر بن الخطاب ﷺ: إن العلم ليس عن حداثة السن ولا قدمه ولكن الله يضعه حيث يشاء. وفي البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: كنت أقرئ رجالا من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف[٣].قال ابن الجوزي في كشف المشكل: فيه تنبيه على أخذ العلم من أهله وإن صغرت أسنانهم أو قلت أقدارهم. وقد كان حكيم بن حزام يقرأ على معاذ بن جبل فقيل له: تقرأ على هذا الغلام الخزرجي؟ فقال: إنما أهلكنا التكبر[٤].

---

١ رواه أحمد ٤٤٧/٣ وأبو داود ٢٩٨/٤ (٤٩٩١)

٢رواه الحاكم ١٢٧/١.

٣صحيح البخاري(٧٣٢٣).

٤ الآداب الشرعية ١١١/١.

ويوضح الإمام ابن مفلح رحمه الله هذه القضية فيقول: والأولى أن لا يحدث حتى يتم له أربعون سنة إلا أن يحتاج إليه، فقد حدث بندارو له ثلاث عشرة سنة وحدث البخاري وما في وجهه شعرة. وقد قال سمرة بن جندب: لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاما فكنت أحفظ عنه فما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالا هم أسن مني. متفق عليه[1]. وهكذا نجد أن المجتمع الإسلامي مجتمع منتج، فالجميع يعمل ويعلم ويتعلم، وبذلك تقدم الرعيل الأول من أهل الإسلام، وحصل ما نراه من تأخر في المسلمين لبعدهم عن الإنتاجية الفعالة والاستفادة من جميع الظروف والبيئات والإمكانات لعمارة الأرض.

١الآداب الشرعية ١/١٣٥.

الخاتمة

بعد ذكر ما تيسر من طرق تربوية في السنة النبوية وهدي الصالحين من بعده الذين استشعروا مسؤوليتهم أمام الصغار بتوجيهم وتأديبهم، نصل إلى النتائج الآتية:

١. أن من هديهم أن يربوا الصغير على تأدية الشعائر الدينية إذا عقل ، ببلوغه سبع سنين.

٢. أن السلف كانوا يصبرون صغارهم إذا جاعوا وقت الصيام بالألعاب، حتى يتعودوا الصوم.

٣. أن من مقاصد الإسلام في التربية تهيئة القدوة الصالحة للصغير، وأولى من يمثل هذه القدوة الوالدان والمعلم.

٤. أن السلف حذروا من ترك التربية للخدم بلا متابعة.

٥. أن للصحبة أثر بالغ في تغيير سلوك الطفل، ولذا فمن تمام التربية الحسنة انتقاء أصحابهم، ومنعهم من الصحبة السيئة.

٦. أن تعليم الصغير حق له، فيلزم الولي أن يعلم الطفل أمور دينه ودنياه، وما يحتاجه من العلوم المفيدة والمهارات التي تخدمه في مستقبله.

٧. أن من مقاصد الدين، الحفاظ على صحة البدن، ولذا فعلى الولي أن يحافظ على صحة الطفل ويعالجه من الأسقام، ويتعاهده بالنظافة التي هي مفتاح لحفظ الصحة.

٨. أن إظهار مشاعر الحب للصغير أمر ضروري له، لما فيه من إشباع لحاجاته النفسية، ومن أساليب إظهار الحب للطفل : تقبيل الصغير واحتضانه وشمه، والدعاء له، ومماز حته وتفريحه، والسماح له باللعب ، والتوسعة عليهم في النفقة عند الاستطاعة.

٩. أن للصغير حقا شرعيا في تشميته والسلام عليه ورد سلامه.

١٠. أن من حق الصغير أن يقوم سلوكه بالأسلوب المناسب من مداراة وعتاب، فلا يستعمل الضرب إلا في الحالات التي لا يفيد فيها أسلوب آخر.

١١. أن الصغير ينكر عليه إذا ارتكب مخالفة شرعية، فإن لم يكن له يد في هذه المخالفة كما إذا اشترى له وليه لبسا فيه صورة أو صليب فإن الإنكار يكون على الولي.

١٢. يتبين بهذا البحث أن الشريعة الإسلامية السمحة، لم تترك شيئا مما ينفع الناس إلا بينته، وهذا ما يزيد من الإيمان في القلب.

وأسأل الله تعالى في نهاية هذا البحث أن يهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وأن يجعلنا للمتقين إماما.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم المراجع

- اتحاف الخيرة المهرة في معرفة وسائل التربية المؤثرة لأم عبدالرحمن الجودر نشر مكتبة التوبة.
- الاحتساب على الأطفال- د. فضل إلهي- إدارة ترجمان الإسلام- الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح الحنبلي – تحقيق شعيب الأرناؤوط وعمر القيام.
- صحيح الجامع – للألباني – المكتب الإسلامي – بيروت.
- أساليب التربية الإسلامية
- البداية والنهاية لابن كثير- تحقيق الدكتور: عبدالله التركي
- التربية البدنية والرياضية في التراث
- ثقافة الطفل المسلم مفهومها وأسس بنائها –تأليف: أحمد الحليبي- نشرة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية –١٤١١هـ.
- جامع الأصول لابن الأثير– تحقيق الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط – دار الفكر– بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- الحث على التجارة للخلال

📖 حماية الطفولة في الشريعة الإسلامية والقانون لمحمد عبدالجواد

📖 السنن الكبرى البيهقي.

📖 سنن ابن ماجه بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

📖 سنن أبي داود – ت محمد محيي الدين عبدالحميد – المكتبة الإسلامية – استامبول -

📖 سنن الترمذي –ت أحمد شاكر–المكتبة التجارية –مكة.

📖 سنن الدارقطني – دارعالم الكتب – بيروت – ط٣ – ١٤١٣هـ.

📖 سنن النسائي بحاشية السندي.

📖 شرح صحيح مسلم للنووي

📖 صحيح الجامع – للألباني – المكتب الإسلامي – بيروت.

📖 فتح الباري شرح صحيح البخاري – ت عبدالعزيزابن باز- المكتبة السلفية – القاهرة – ط ٣ – ١٤٠٧هـ.

📖 فقه تربية الأبناء- لمصطفى العدوي- دار ماجد عسيري- الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

📖 كتاب العيال لابن أبي الدنيا

📖 مجموع فتاوى ابن عثيمين

📖 مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد

📖 المغني لابن قدامة – ت عبدالله التركي وعبدالفتاح الحلو –دار هجر.

📖 موسوعة طالب العلم في قرص ممغنط.

📖 موسوعة هبة الجزيرة الشرعية في قرص ممغنط.